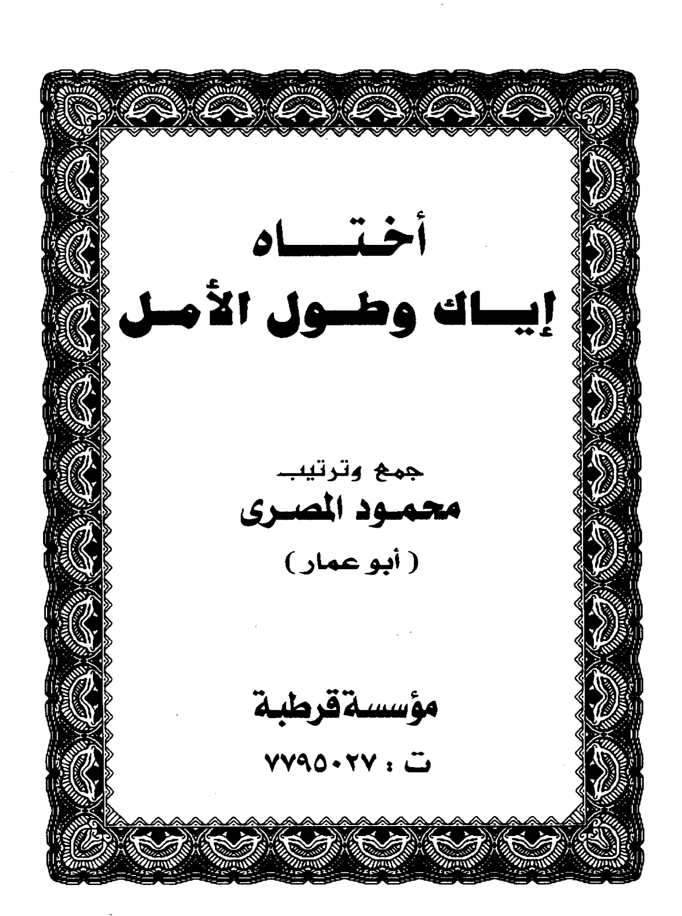


أختـــاه

إيـاك وطـول الأمـل

جمع وترتيب

محمـود المصـرى

(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٥٢٨٧
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977-5234-79-4

تطلب منشوراتنا من

دار فجر الإسلام

ميدان الشون - المحلة الكبرى ٠١٢/٣٧٥٢٨٣٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الكمبيوتر: إبراهيم حسن

ت: ٥٤٦٧٨٠٢

الشركة الفنية للطباعة ت : 7771039

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١). أما بعد:

أختاه: جميل أن نحمل فى قلوبنا أملاً، لكى نعمر الكون بكل أنواع الخير، فالإنسان مفطور على حُب الحياة.. لكن لابد أن نحذر من أن يحول الأمل بيننا وبين

طاعة الله عز وجل.

فإن صاحب الأمل الطويل فى الدنيا يركن غالبًا إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله ﷺ. ومن أجل ذلك حذر النبى ﷺ من طول الأمل.

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: «كُن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.. زاد أحمد والترمذى: «وعدَّ نفسك من أهل القبور»[(١)].

ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (الحجر: ٣).

* (قال الإمام النووى: رحمه الله -: «لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه)[(٢)].

---

(١) رواه البخارى وأحمد والترمذى وابن ماجة عن ابن عمر.

(٢) رياض الصالحين (ص: ١٧٢) بتحقيقى. ط. دار المجلد العربى.

* فهيا لنطوف فى بساتين سلفنا الصالح لنعلم كيف كانت الدنيا لا تشغلهم بحال من الأحوال بل كانت قلوبهم متعلقة بالله (عز وجل) وبذكر الآخرة والاستعداد لها.

فهيا لنملأ أعيينا وقلوبنا بهجة وسعادة بقراءة تلك السطور التى تحكى لنا صورًا مضيئة من قصر الأمل عند سلفنا الصالح عسى أن نتأسى بهم ليجمعنا الله (عز وجل) بهم فى جنته ومستقر رحمته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

أختـاه.. إيـاك وطـول الأمـل

أيتها الأخت الفاضلة: إياك وطول الأمل فإن طول الأمل قد يجلب للإنسان السعادة الظاهرة فى الدنيا لكنه يسقيه كؤوسًا مترعة من اللذة الفانية ويحرمه من اللذة الباقية. . . بل إن طول الأمل يجعل الإنسان غافلاً عن طاعة الله (عز وجل) مُقبلاً على الشهوات والمعاصى والسيئات. . . وطول الأمل يجعل القلب قاسيًا وذلك لأنه يجعل القلب حريصًا كل الحرص على تحصيل متاع الدنيا الزائل. . . ومن أجل ذلك فإن طول الأمل يجعل العبد ينسى آخرته ولا يتزود ليوم لقاء ربه (عز وجل) فيندم حيث لا ينفع الندم ويتحسر حيث لا تنفع الحسرة ولا تُجدى.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** ﴾ (مريم: ٣٩: ٤٠).

فاحذرى يا أختاه من طول الأمل واجعلى الدنيا كلها ساعة فاغتنمى تلك الساعة فى كل طاعة وتزودى بتقوى الله فهى الزاد لمن أراد النجاة غدًا من عذاب الله وهى الزاد لمن أراد النعيم فى جنات الخلود التى فيها ما لا عينٌ رأت

ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* (قال ابنُ القيم: «على قدر رغبة العبد فى الدنيا ورضاه بها يكون تثاقُله عن طاعة الله وطلب الآخرة».

* (وقال - رحمه الله -: «ما مضى من الدنيا أحلامٌ، وما بقى منها أمانى، والوقت ضائعٌ بينهما»)[١].

* وقال ابن حجر - رحمه الله -: قال ابن الأثير: «من ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله، لأنه إنما يصل إليه بالموت»[٢].

* وقال الأبشيهى:

أيا من عاشَ فى الدُّنيا طويلاً
وأفنى العمر فى قيلٍ وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تُقاد إليك عفوًا
أليس مصيرُ ذلك للزوال)[٣]

(١) الفوائد (ص: ٦٥).
(٢) فتح البارى (١١/ ٣٦٧).
(٣) المستطرف (١/ ١١٣).

* نعم والله إن مصير ذلك كله إلى زوال.
فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر.
والعمر مهما طال فلا بد من دخول القبر.

اغتنم خمساً قبل خمس

أختاه: إن الكنز الحقيقى للعبد المؤمن هو لحظات العمر فما من لحظة تمر من حياة العبد فى غير طاعة إلا سيندم عليها فى يومٍ لا ينفع فيه الندم.

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سُقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(١).

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(٢).

* وأنشد أبو عبد الله بن أيوب:

---

(١) رواه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس - صحيح الجامع (١٠٧٧).
(٢) أخرجه البخارى، كتاب الرقاق - باب: الصحة والفراغ.

اغتنم فى الفراغ فضل ركوعٍ
فعسى أن يكون موتك بغتهْ
كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلته[١]

* (قال ابن الجوزى: «قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسلُ عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التى يظهر ربحها فى الآخرة، فمن استعمل فراغة وصحته فى طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما فى معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرمُ»[٢].

ما هو الأمل؟

قال القرطبى: الأمل: الحرص على الدُّنيا والانكباب عليها، والحُب لها والإعراض عن الآخرة[٣].

(١) الزهد الكبير، للبيهقى (ص: ٢٣٥).
(٢) فتح البارى (١١/ ٢٣٤).
(٣) تفسير القرطبى (١٠/ ٤).

وقال المناوى: الأمل: توقعُ حُصُول الشىء، وأكثر ما يُستعمل فيها يُستبعد حصوله(١).

أما طول الأمل: فهو الاستمرار فى الحرص على الدنيا ومداومة الانكباب عليها مع كثرة الإعراض عن الآخرة.

قال ابن حجر: وفى الأمل سر لطيفٌ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحدٌ بعيشٍ، ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسالُ فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سَلم من ذلك لم يكلف بإزالته(٢).

يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان

قال ﷺ: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»(٣).

وقال ﷺ: «يهرم ابن آدم ويشبُّ فيه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر»(٤).

---

(١) التوقيف (ص: ٦٢).

(٢) فتح البارى (١١/ ٢٤١).

(٣) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن أنس.

(٤) أخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة عن أنس.

إلام تغـــر بالأمـــل الطويـل
وليس إلى الإقامة مـن سبيـل
فـدع عنــك التعـلل بالأمانـى
فما بعد المشيب سوى الرحيل
أتأمن أن تـدوم علـى الليالـى
وكم أفنين قبـلك مـن خليـلِ
وما زالت بنـات الدهـر تفنـى
بنـى الأيـام جيـلاً بعد جيـل

* **قال بعض الحكماء**: عجبت ممن يحزن على نُقصان ماله ولا يحزن على فناء عمره، وعجبت من الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة.

* **وقال أحد الزهاد**: كونوا من الله على حذر، ومن دنياكم على خطر، ومن الموت على وجل، ولقدوم الآخرة على عجل.

* **وقال أبو الدرداء**: ابن آدم طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليلٍ قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ يوم ولدتك أمك(١).

(١) الزهد الكبير (ص: ٢٣٣).

رحم الله امرءًا عمل لمثل هذا اليوم

* عن عبد الواحد بن صفوان قال: كنا مع الحسن في جنازة، فقال رحم الله امرءًا عمل لمثل هذا اليوم. إنكم اليوم تقدرون على ما لا يقدر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور فاغتنموا الصحة والفراغ، قبل الفزع والحساب»[1].

* وقالوا للفضيل بن عياض: يا أبا على كم سنك؟ فقال:

بلغت الثمانين أو جزتها
فماذا أؤمل أو أنتظر
أتت لي ثمانون من مولدي
ودون الثمانين ما يعتبر
علتني السنون فأبلينني
فرقت عظامي وكلَّ البصر

* وكان الحسن إذا أمسى يقول:

وما الدنيا بباقية لحي
وما حي على الدنيا بباق

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٢٠).

* وكانت إحدى العابدات إذا أصبحت قالت: يا نفس هذا اليوم ساعديني يومي هذا فلعلك لا ترين بياض يوم أبدًا، وإذا أمست، قالت: يا نفس هذه الليلة ساعديني ليلتي هذه فلعلك لا ترين سواد ليلة أبدًا فما زالت تخدع وتدفع يومها بليلها وليلها بنهارها حتى ماتت على ذلك[1].

أختاه: ما رأيك أن تفعلي مثل الذي فعلته تلك العابدة عسى الله أن يختم لك بخاتمة أهل السعادة ويحشرك في زُمرة أزواج وبنات النبي ﷺ ونساء الصحابة (رضي الله عنهم جميعًا).

رحم الله أصحاب القلوب الحية

* وعن ميمون بن مهران أنه قال: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز يومًا وعنده سابق البربري الشاعر وهو ينشد شعرًا، فانتهى بشعره إلى هذه الأبيات:

وكم من صحيح باتَ للموت آمنًا
أتته المنايا بغتةً بعدما هجعْ
ولم يستطع إذ جاءه الموت بغتةً
فرارًا ولا منه بقوّته امتنَعْ

(١) الزهد الكبير (ص: ٢٥٤).

فأصبح تبكيه النساء مقنعًا
ولا يسمع الداعى وإن صوته رفع
وقرب من لحد صار مقيلهُ
وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
ولا يترك الموت الغنى لماله
ولا معدمًا فى الحال ذا حاجة يدع

قال: فلم يزل عمر رضى الله عنه يبكى ويضطرب، حتى غُشى عليه(١).

* وعن صالح بن موسى الطلحى عن أبيه قال: اجتهد الأشعرى قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟

فقال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذى بقى من أجلى أقل من ذلك!

قال: فلم يزل على ذلك حتى مات(٢).

أختاه: هكذا كانت قلوبهم حية بذكر الله ومحبته

(١) الزهد الكبير (ص: ٢٦٣).
(٢) قصر الأمل (ص: ١٠٨) وإحياء علوم الدين (٤/ ٦٦٩).

وطاعته وهكذا كانوا يتسابقون إلى كل طاعة تقربهم من الله (عز وجل).

طول الأمل... سبب الهلاك

اعلمي أيتها الأخت الطاهرة أن طول الأمل من أسباب الهلاك.

قال الإمام القرطبي: وطول الأمل داء عُضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من بُرئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»(١).

ويروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قام على درج مسجد دمشق فقال: يا أهل دمشق، ألا تسمعون من أخٍ لكم ناصح؟! إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثرًا ويبنون

(١) رواه أحمد في الزهد والطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن عمرو، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٤٥).

مشيدًا ويأملون بعيدًا، فأصبح جمعهم بورًا وبنياتهم قبورًا وأملهم غرورًا. هذه عاد قد ملأت البلاد أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً. فمن يشترى منى اليوم تركتهم بدرهمين! وأنشد يقول:

يا ذا المؤمـل آمـالاً وإن بعـدت
منه ويزعم أن يحظى بأقصاهـا
أنى تفوز بما ترجوه ويـك ومـا
أصبحت فى ثقة من نيل أدناها

وقال الحسن: ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل، وصدق رضى الله عنه! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخى والتوانى، ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان، كما أن قِصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة(١).

وقال على رضى الله عنه: إن أخوف ما أخاف عليكم

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى (١٠/٧ - ٨) ط. دار الحديث.

اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة.

وجاء فى الأثر: أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا[1].

الله (عز وجل) يحض عباده على قِصر الأمل

أختاه: إن الله (عز وجل) هو الذى خلق هذه الدنيا وهو الذى يعلم حقيقتها وأخبرنا بتلك الحقيقة فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠).

ومن أجل ذلك حضنا على قصر الأمل وذكر الموت وعدم الانشغال بالدنيا فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن

(٢) أختاه إنما أنت أيام/ للمصنف (ص: ٥٣: ٥٦).

يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ٩ - ١١) وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

* وأخبر الحق (جل وعلا) عن هذا المشهد المهيب الذى يوضح لنا الحسرة التى تحصل لأهل الغفلة الذين انشغلوا بجمع حُطام الدنيا وغفلوا عن ذكر الآخرة فطال أملهم ونسوا ربهم (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا

تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ
﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا
فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا
فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي
جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ
فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ
الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٩٩ - ١١٥).

ذكر الموت.. وقِصر الأمل

أختاه: إن الذى يجعل الإنسان قصير الأمل هو أن يُكثر من ذكر الموت فقد قال ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات»[١] يعنى: الموت.

* (عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ مر بمجلسٍ وهم يضحكون، فقال: «أكثروا من ذكر هاذم

(١) رواه الترمذى وابن ماجة - صحيح الجامع (١٢١٠).

اللذات فإنه ما ذكره أحدٌ فى ضيق من العيش إلا وسعه، ولا فى سعةٍ إلا ضيقه عليه»(١).

* فلا داعى أيتها الأخت الفاضلة أن يتعلق قلبك بحطام الدنيا الزائل من شقة على النيل وسيارة فارهة وملابس أنيقة بل عليك أن ترضى بالكفاف واعلمى أن الله (عز وجل) سيُذهب عنك كل شقاء وكل تعب مع أول غمسة فى جنته فقد قال ﷺ: «يؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ فى الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يارب ما مرَّ بى بؤسٌ قط ولا رأيت شدة قط»(٢).

من أحب لقاء الله.. أحب الله لقاءه

* ولقد ذم الله الكافرين بسبب كفرهم أولاً وكذلك بسبب طول الأمل وحُب البقاء فى الدنيا فقال تعالى: **﴿ الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾** (الحجر: ١: ٣)، وقال تعالى: **﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ**

---

(١) رواه البيهقى وابن حبان - صحيح الجامع (١٢١١).
(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائى عن أنس.

أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٩٦).

* ولذلك فكل من لم يتزود بالإيمان فهو يحب البقاء فى الدنيا ويكره لقاء الله (عز وجل) ولذلك قال ﷺ: «اللهم من آمن بكَ، وشهد أنى رسولك، فحبب إليه لقاءك، وسهل عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومن لم يؤمن بكَ، ويشهد أنى رسولكَ فلا تحبب إليه لقاءكَ، ولا تسهل عليه قضاءكَ، وكثر لهُ من الدنيا»(١).

* وعن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شىء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شىء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره لقاءه»(٢).

(١) رواه الطبرانى فى الكبير - صحيح الجامع (١٣١١).
(٢) أخرجه البخارى (١١/ ٣٦٤ - ٣٦٥) الرقاق.

قال الحافظ: قال ابن الأثير فى النهاية: المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت، لأن كلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله(١).

النبى ﷺ يحذر أمته من طول الأمل

أختاه: أما سمعت قول النبى ﷺ وهو يخبر عن قُرب الساعة ويقول: «بُعثت أنا والساعة كهاتين»(٢).

* بل تدبرى معى ما كان يصنعه النبى ﷺ مع أصحابه ليعلمهم ويُعلم الأمة كلها من بعدهم أن الدنيا لا تستحق أن نشتغل بها بل الواجب علينا أن نذكر الآخرة فى كل لحظة حتى لا نغفل عن طاعة ربنا (جل وعلا).

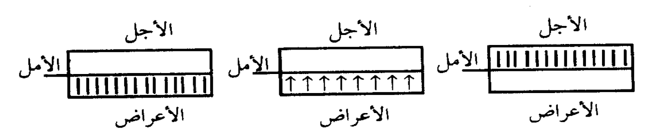
* عن أبى بن كعب رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثُ الليل، قام فقال: «يا أيها الناسُ اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»(٣).

---

(١) فتح البارى (١١/ ٣٧٦).
(٢) أخرجه البخارى (٧/ ١٩١) وابن ماجة (٤٠٤٠).
(٣) رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٦٣).

* بل تدبرى معى كيف وضح النبى ﷺ خطر طول الأمل إذا أصيب به العبد.

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: خطَّ النبى ﷺ خطًا مُربعًا، وخطَّ خطًا فى الوسط خارجًا منه، وخطَّ خُططًا صغارًا إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط، فقال: «هذا الإنسان، وهذا أجلُهُ مُحيطًا به أو قد أحاطَ به وهذا الذى هو خارج أملُهُ وهذه الخطط الصغارُ الأعراضُ، فإن أخطأهُ هذا، نهشهُ هذا، وإن أخطأه هذا نهشهُ هذا»[1] رواه البخارى. وهذه صورتهُ:



* ومن أجل ذلك كان النبى ﷺ يحض كل مسلم أن يكتب وصيته حتى لا يتمكن طول الأمل من سويداء قلبه فيجعله ينسى آخرته.

قال ﷺ: «ما حق امرىء مُسلم له شىء يوصى فيه. يبيتُ ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده».

(١) أخرجه البخارى (١١/ ٦٤١٧) الرقاق.

وفى رواية لمسلم: «يبيت ثلاث ليال» قال ابن عمر: ما مرت على ليلة منذُ سمعتُ رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندى وصيتى»(١).

النبى ﷺ يعلم الأمة قصر الأمل

أختاه: لقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعلى فى الزهد فى تلك الدنيا وفى قصر الأمل وعدم التعلق بحطام الدنيا الفانية.

وذلك لأنهم تربوا بين يدى سيد الزاهدين محمد بن عبد الله ﷺ الذى كان يأخذ بقلوبهم وأرواحهم إلى جنة الرحمن (جل وعلا) قال ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع»(٢).

وقال ﷺ: «لو كان لى مثل أحُد ذهبًا لسرنى أن لا تكر على ثلاث ليالٍ وعندى منه شَىء إلا شىء أرصده

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٢٧٣٨) الوصايا - ومسلم (١٦٢٧) الوصية.

* قال الشافعى - رحمه الله -: ومعنى الحديث: ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده. فيستحب تعجيلها، وأن يكتبها فى صحته، ويشهد عليه فيها. ويكتب فيها ما يحتاج إليه فإن تجدد له أمر يحتاج إلى الوصية به ألحقه بها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) الجنة وصفة نعيمها.

لدين»(١).

* وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما، قال: ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجدُ من الدقل ما يملأ به بطنه(٢) - الدقل: ردىء التمر.

* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «ما لى وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها»(٣).

سلفنا الصالح.. وقصر الأمل

فتعلم أصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم هذا الدرس جيدًا من النبى ﷺ فلم تتعلق قلوبهم بحطام الدنيا الزائل بل تعلقت قلوبهم بالآخرة وبالاستعداد للوقوف بين يدى من له الأولى والآخرة (سبحانه وتعالى).

---

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٢٣٨٩) الاستقراض - ومسلم (٩٩١) الزكاة.
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٧٨) الزهد والرقائق.
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه - صحيح الجامع (٥٦٦٨).

* (دخل رجل على أبى ذر الغفارى - رضى اله تعالى عنه - فجعل يُقلب بصره فى بيته فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتا نتوجه إليه، فقال: «إنه لابد لك من متاعٍ ما دُمت هاهنا»، فقال: «إن صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا»(١).

* وعن سلمان الفارسى قال: ثلاث أعجبتنى، ثم أضحكتنى! مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمينَ عليه أم راضٍ عنه.

وثلاثة أحزنتنى حتى أبكتنى: فراقُ محمد ﷺ وحزبه والأحبة، وهولُ المطلع، والوقوف بين يدى ربى، لا أدرى إلى الجنة يُؤمر بى أو إلى النار!

* وعن إبراهيم بن نشيط قال: قال لى أبو زرعة الشامى: لأقولن لك قولاً ما قلته لأحد سواك!

ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثت نفسى أن أرجع إليه(٢).

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٣٣٢).
(٢) قصر الأمل (ص: ٦٠).

* وعاد الحسن عليلاً فوافقه وهو فى الموت، ورأى تقلبه وشدة ما نزل به فلما رجع إلى داره قدموا له طعامًا فقال: عليكم بطعامكم وشرابكم فإنى رأيت مصرعًا لابد لى منه ولا أزال أعمل حتى ألقاه وتأخر عن الطعام أيامًا حتى لُطف به فأكل(١).

* وقال صالح المرى: دخلت على الحسن يومًا فوجدته ينشد:

ليس من مات فاستراح بميتٍ
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من تراه كئيبًا
كاسفًا باله قليل الرجاء

* ورأى الحسن شيخًا فى جنازة فلما فرغ من الدفن، قال له الحسن: يا شيخ أسألك بربك أتظن أن هذا الميت يود أن يُرد إلى الدنيا فيزيد من عمله الصالح ويستغفر الله من ذنوبه السالفة؟ فقال الشيخ: اللهم نعم، فقال الحسن: فما بالنا لا نكون كهذا الميت، ثم انصرف وهو يقول:

أى موعظة؟ وما أنفعها لو كان بالقلوب حياة، ولكن

(١) الحسن البصرى (ص: ٩٠).

لاحياة لمن تنادى.

* وقال الحسن: ابن آدم إنما أنت بين راحلتين مطيتين يُوضعانكَ، يُوضعك الليل إلى النهار، والنهارُ إلى الليل، حتى يُسلماك إلى الآخرة، فمن أعظم منك يا بن آدم خطرًا؟).

* قال أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هى فى يديه
عذابًا كلما كثُرت لديه
تهين المكرمين لها بصُغر
وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شىء فدعه
وخذ ما أنت محتاج إليه)[١]

* وقال أبو زكريا التميمى: بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور، فطلب من يقرؤه، فأتى بوهب بن منبه فإذا فيه: ابن آدم إنك لو رأيت قُرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلكَ..).

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٢٢).

* وقال أبو محمد بن على الزاهدُ: «خرجنا فى جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائى، فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن. فجئت فقعدت قريبًا منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيدُ، ومن طال أملهُ ضعف عمله، وكل ما هو آت قريبٌ.. واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون»).

* وقال الإمام العزالى: لقد قصم الموت رقاب الجبابرة، وكسر ظهر الأكاسرة وقصر آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة.. فانظر هل وجدوا من الموت حصنًا وعزًا..)[1].

أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٧٥).

الْمَوْتَى﴾ (القيامة: ٣٦: ٤٠).

* عن القعقاع بن عجلان قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سُدى. وإن لكم معادًا يجمعكم الله للحكم فيكم والفصل فيما بينكم، فخاب وشقى عبدٌ أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شىء، وجنته التى عرضها السماوات والأرض.

وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف الله واتقى، وباع قليلاً بكثير، وفانيًا بباق، وشقوة بسعادة.

ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين، وسيخلفه بعدكم الباقون؟

ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديًا أو رائحًا إلى الله، قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فيضعونه فى بطن صدع من الأرض، غير موسد ولا ممهد؟ قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟

وايمُ الله إنى لأقول لكن مقالتى هذه، وما أعلم أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى، ولكنها سننٌ من الله عادلة، أمر فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. وأستغفر الله.

ووضع كُمَّهُ على وجهه، فبكى حتى لثقت لحيته، فما عاد إلى مجلسه حتى مات - رحمه الله[1].

أختاه.. أين الأحباب؟

أختاه: ألا يعتبر الراحل أنه بعد الراحل راحل؟!!!

أختاه: أين الأحباب وأين الآباء والأمهات؟ بل أين الأبناء؟... كم من أخت مسلمة فقدت أمها وأباها وكم من أخت قد مات ولدها وزوجها.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦).

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢).

سألت الدار تخبرني ... عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أناخ القوم ... أيامًا وقد رحلوا
فقلت فأين أطلبهم ... وأي منازل نزلوا
فقالت بالقبور وقد ... لقوا والله ما فعلوا
أناسٌ غرهم أملُ ... فبادرهم به الأجلُ
فنوا وبقى على الأيام ... ما قالوا وما عملوا

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

وأثبت فى صحائفهم قبيحُ الفعل والزللُ
فلا يستعتبون ولا لهم ملجأ ولا حيلُ
ندامى فى قبورهم وما يغنى وقد حصلوا

ما السبب فى طول الأمل؟

وأخيرًا: كان لابد لنا من هذا السؤال: ما السبب فى طول الأمل؟

وكيف نتخلف من طول الأمل وتنشغل قلوبنا بذكر الآخرة؟

قال الإمام العزالى - رحمه الله -: اعلم أن طول الأمل له سببان، أحدهما: الجهل، والآخر: حُب الدنيا.

أما حب الدنيا: فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه. والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة، فيمنى نفسه أبدًا بما يوافق مراده، وإنما يوافق مراده البقاء فى الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفًا عليه،

فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمرُ الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال: الأيامُ بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخًا. فإذا صار شيخا قال: إلى أن تفرغَ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة. أو ترجع من هذه السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك. فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يخوض فى شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال آخر، وهكذا على التدريج يؤخر يومًا بعد يوم ويفضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية فى وقت لم يحسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف، يقولون: واحزناه من سوف. والمسوف المسكين لا يدرى أن الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدًا، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخًا، ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات، فما يفرغ منها إلا من طرحها. فما قضى أحدٌ منها لبانته وما انتهى أربٌ إلا إلى أربٍ.

وأصلُ هذه الأمانى كلها حُب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ: «أحبب من أحببت فإنك مفارقه».

وأما الجهل: فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا فكانوا أقل من عشر رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، فإلى أن يكون شيخ يموت ألف صبي وشاب. وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد، وإن كان ذلك بعيدًا، فالمرض فجأة غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا. ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقتٌ مخصوصٌ من شباب وشيب وكهوله ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفله عن تقدير الموت القريب، فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظن أنه يُشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته، لأن هذا قد تكون عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه، ولم يتصور أن يألفه فإنه لم يقع، وإذا وقع في دفعةٍ أخرى بعد هذه، فهو الأول وهو الآخر[1].

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٥/١٣٣ - ١٣٤).

علاج طول الأمل

وسبيله أن يقيس نفسه بغيره، ويعلم أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن فى قبره، ولعل اللبن الذى يعطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى فتسويفه جهلٌ محضٌ. وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه.

أما الجهل فيدفع بالفكر الصافى والحكمة البالغة.

وأما حُب الدنيا، فالعلاج فى إخراجه من القلب شديدٌ وهو الداء العضالُ الذى أعيا الأولين والآخرين علاجه، ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل يمحو عن القلب حب الحقير. فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها، وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدرٌ يسيرٌ مكدرٌ منغصٌ، فكيف يفرحُ بها أو يترسخ فى القلب حُبها مع الإيمان بالآخرة؟ فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده.

ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدًا فقد فاز فوزًا عظيمًا،

وأما من كان مغرورًا بطول الأمل فقد خسر خسرانًا مبينًا. فلينظر الإنسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه، وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة؟ وكيف تتفتت عظامها؟ وليتفكر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاً أو اليسرى؟ فما على بدنه شيء إلا وهو طعمه الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى[1].

وقفة أخيرة

أختاه: لم يكن الهدف من تلك الرسالة هو أن نترك الدنيا بكل ما فيها ولا نأخذ منها بقدر ما يعيننا على أمر الدين والدنيا. . كلا.

* فإن الدنيا مزرعة للآخرة. . . والدنيا ليست مذمومة على الإطلاق بل المذموم منها ما يشغلنا عن طاعة الله وما يجعلنا نقع فى معصية الله. . فالعبد يغرس فى الدنيا العمل الصالح ليجنى الثمرة يوم القيامة بل يجمع من حطام الدنيا ما يعينه على أمر دينه ودنياه.

ولذلك كان هدفى من وراء تلك الرسالة أن نملأ قلوبنا بحب الله والشوق إلى لقائه وأن نجعل جوارحنا تنقاد

---

(١) الإحياء (٥/ ١٣٤ - ١٣٥).

لطاعة الله وللعمل لنُصرة دين الله.

ومن أجل ذلك كان لابد من قِصر الأمل وتذكر الموت والشوق للقاء الله (عز وجل)

* فإن لتذكر الموت أثر كبير فى إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع فى البقاء المديد فى هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصى، وقد تقصر فى الطاعات، فإذا كان دائما على بال العبد، فإنه يصغر الدنيا فى عينه، ويجعله يسعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره.. فقد روى البيهقى فى شُعب الإيمان، وابن حبان فى صحيحه والبزار فى مسنده بإسناد حسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره فى ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها»(١).

ويذكر ابن المبارك أن صالحًا المرى كان يقول: «إن ذكر الموت إذا فارقنى ساعة فسد على قلبى»(٢).

---

(١) رواه البيهقى وابن حبان - صحيح الجامع (١٢١١).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٨٨).

وقال القرطبى: قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصى، ويلين القلب القاسى، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب[(١)].

* أختاه: كانت هذه رسالة من أخٍ مشفقٍ عليك يرجو لك النجاة من عذاب الله.. ويدعو لكِ ليلاً ونهارًا بالفوز بالنعيم والرضوان فى جنة الرحيم الرحمن (جل وعلا).

فأسأل الله (جل وعلا) أن يوقظ قلوبنا من غفلتها وأن يُصلح فساد قلوبنا وأن يملأ قلوبنا حبًا له وشوقًا للقائه وأن يجعل جوارحنا تنقاد لطاعته والعمل لنُصرة دينه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

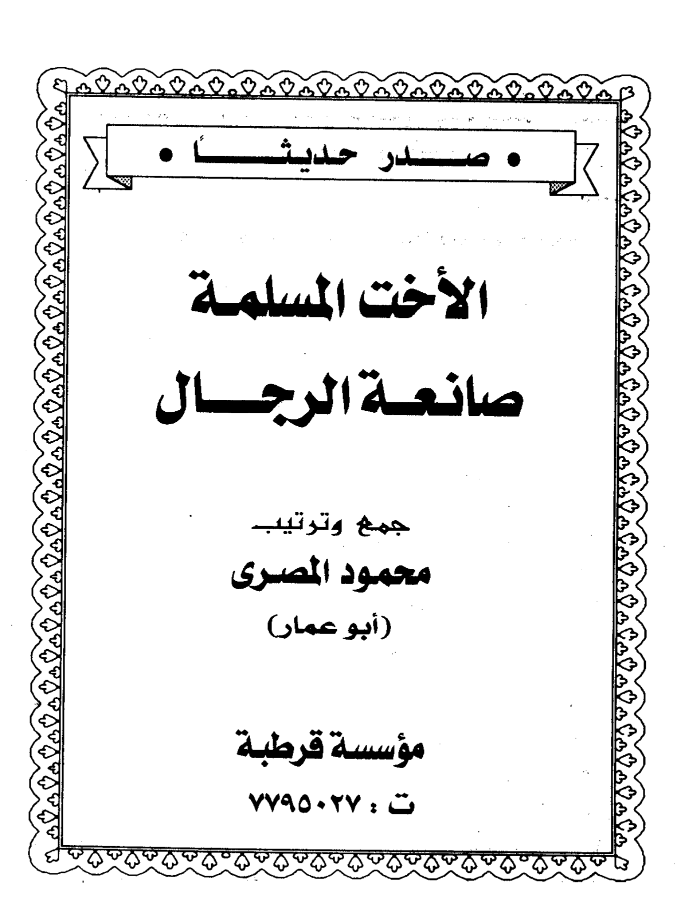
(أبو عمار)

---

(١) التذكرة (ص: ١٢).

• محتويات الكتاب •

الموضوع الصفحة


• صــــدر حديثـــا •
الأخت المسلمـة
صانعـة الرجـــال
جمع وترتيب
محمود المصرى
(أبو عمار)
مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧